

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَذْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّنْ
تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ
أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: 83]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

استصحاب
خصال المنافقين
يوجب عدم
اضطحابهم في
الجهاد

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَخَازِيِ الْمُنَافِقِينَ وَسُوءَ طَرِيقَتِهِمْ بَيْنَ بَعْدَ ذَلِكَ
أَنَّ الصَّلَاحَ فِي الْأَيَّامِ يَسْتَصْحِبُهُمُ النَّبِيُّ فِي غَزَوَاتِهِ؛ لِأَنَّ خُرُوجَهُمْ مَعَهُ
يُوجِبُ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ⁽¹⁾؛ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يُخْرَجُونَ إِلَّا كَارْهِينَ
لِلْخُرُوجِ، وَكَانُوا فَرَحِينَ بِالْقُعُودِ وَالتَّخَلُّفِ. وَالكَارِهُ لِلشَّيْءِ وَالْمُكْرَهُ
عَلَيْهِ لَا يُنْتَظَرُ مِنْهُ الْإِخْلَاصُ وَلَا يُرْجَى مِنْهُ النَّفْعُ، وَلَمَّا "كَانَ هَذَا
الدِّينُ مَبْنِيًّا عَلَى الْعِزَّةِ وَالْغَنَى، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ مُسَبِّبًا عَنْ فَرَحِهِمْ
بِالتَّخَلُّفِ - وَكَرَاهِيَتِهِمْ لِلْخُرُوجِ -: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾"⁽²⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿رَجَعَكَ﴾: أَصْلُ الرُّجُوعِ: الْعَوْدُ إِلَى مَا كَانَ مِنْهُ الْبَدْءُ، أَوْ
تَقْدِيرُ الْبَدْءِ مَكَانًا كَانَ أَوْ فِعْلًا، أَوْ قَوْلًا، وَبِذَاتِهِ كَانَ رُجُوعُهُ، أَوْ
بِجْزٍ مِنْ أَجْزَائِهِ، أَوْ بِفِعْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِ. يُقَالُ: رَجَعْتُ عَنْ كَذَا رَجْعًا،
وَرَجَعْتُ الْجَوَابَ⁽³⁾. وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ، أَيْ: عَادَ إِلَيْهِ، وَمِنْ هُنَا قِيلَ:
رَجَعَ فِي هَيْبَتِهِ: إِذَا أَعَادَهَا إِلَى مَلِكِهِ. وَأَمَّا الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَجَعَكَ﴾
فِي الْآيَةِ: فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْإِرْجَاعُ الْحَقِيقِيُّ، بَلِ الْمُرَادُ الْمَجَازِيُّ، أَيْ:
تَكَرَّرَ الْخَوْضُ مَعَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى⁽⁴⁾.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 16/114.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 8/564.

(3) الزاغ، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفاظ: (رجع).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(2) ﴿طَائِفَةٌ﴾: أصل (طوف) يدلُّ على دَوْرَانِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَأَنْ يُحَفَّ بِهِ. ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ، يُقَالُ: طَافَ بِهِ وَبِالْبَيْتِ يَطُوفُ طَوْفًا وَطَوَافًا، وَأَطَافَ بِهِ، وَاسْتَطَافَ، ثُمَّ يُقَالُ لِمَا يَدُورُ بِالأَشْيَاءِ وَيُعْشِيهَا مِنَ المَاءِ: طوفَانٌ. وَأَمَّا الطَّائِفَةُ مِنَ النَّاسِ فَكَأَنَّهَا جَمَاعَةٌ تُطِيفُ بِالوَاحِدِ أَوْ بِالشَّيْءِ. وَلَا تَكَادُ الْعَرَبُ تَحُدُّهَا بِعَدَدٍ مَعْلُومٍ، وَالْمُرَادُ بِالطَّائِفَةِ فِي الآيَةِ: جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُخَلَّفِينَ⁽¹⁾.

(3) ﴿فَاسْتَفْذَنُوا﴾: الإِذْنُ: مَصْدَرُ أَذِنَ، يَأْذِنُ، وَأَصْلُهُ: رَفَعَ الْمَنْعَ، وَإِطْلَاقُ الْفِعْلِ، وَالِإِبَاحَةُ، يُقَالُ: أَذِنْتُ لَهُ فِي شَيْءٍ، أَيَّ: أَطْلَقْتُ لَهُ فِعْلَهُ⁽²⁾. وَيُطْلَقُ الإِذْنُ عَلَى الإِعْلَامِ، وَمِنْهُ الْأَذَانُ: وَهُوَ الإِعْلَامُ بِدُخُولِ الْوَقْتِ، وَأَذِنْتُ بِالشَّيْءِ: عَلِمْتُ بِهِ. وَالِاسْتِذْنَانُ: طَلَبُ الإِذْنِ⁽³⁾، وَالْمُرَادُ بِالِاسْتِذْنَانِ فِي الآيَةِ: طَلَبُ الإِذْنِ، أَيَّ: فِي إِبَاحَةِ عَمَلٍ وَتَرْكِ ضِدِّهِ؛ لِأَنَّ شَأْنَ الإِبَاحَةِ أَنْ تَقْتَضِيَ التَّخْيِيرَ بَيْنَ أَحَدِ أَمْرَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ⁽⁴⁾.

(4) ﴿رَضِيتُمْ﴾: أصل (رضي) يدلُّ على خِلَافِ السُّخْطِ، تَقُولُ: رَضِيَ يَرْضَى رِضًا، وَهُوَ رَاضٍ، وَمَفْعُولُهُ: مَرْضِيٌّ عَنْهُ⁽⁵⁾، وَالرِّضَا: الْقَبُولُ وَالْمُوَافَقَةُ، يُقَالُ: رَضِيَ بِالْبَيْعِ، يَرْضَى، رِضًا وَرِضْوَانًا، أَيَّ: قَبِلَ وَوَافَقَ⁽⁶⁾. وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْإِخْتِيَارِ وَالِانْتِقَاءِ، يُقَالُ: رَضِيَ بِهَذَا الطَّرِيقِ، أَيَّ: اخْتَارَهُ. وَالْمُرَادُ بِالرِّضَا فِي الآيَةِ: الْقَبُولُ بِالشَّيْءِ.

(5) ﴿بِالْقُعُودِ﴾: أصل القُعود: الجُلُوسُ، وَهُوَ نَقِيضُ الْقِيَامِ. قَعَدَ يَقْعُدُ قُعُودًا وَمَقْعَدًا، أَيَّ: جَلَسَ⁽⁷⁾، وَالْقُعُودُ مَجَازٌ عَنِ الثَّبَاتِ فِي الْمَكَانِ، وَالْمُلَازِمَةُ لَهُ؛ لِأَنَّ الْقُعُودَ ثُبُوتٌ شَدِيدٌ وَطَوِيلٌ⁽⁸⁾. وَالْقَعْدَةُ: الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ⁽⁹⁾. وَالْقَعْدَةُ لِلْحَالِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْقَاعِدُ⁽¹⁰⁾، وَالْمَقْعَدُ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(2) النواوي، التوقيف على أمهات التعاريف، ص: 44، والزبيدي، تاج العروس: (أذن).

(3) الفيومي، للصباح للنير: (أذن).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/211.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رضي).

(6) ابن منظور، لسان العرب، والفيروزآبادي، القاموس للحيط: (رضي).

(7) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (قعد).

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/115.

(9) الخليل، العين، والزأغب، المفردات: (قعد).

(10) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (قعد).

مكانُ القُعودِ، وجمعه: مَقَاعِدُ⁽¹⁾، وهي: موضعُ قُعودِ النَّاسِ في الأسواقِ وَغَيْرِهَا⁽²⁾. والقعودُ في الآية: مَجَازٌ عن الثَّباتِ في المكانِ، والمُلَازِمَةِ لَهُ، ومُسْتَعْمَلٌ في تَرْكِ الغَزْوِ تَشْبِيهًا لِلتَّركِ بِالْجُلُوسِ.

(6) ﴿الْخَالِفِينَ﴾: الخَالِفُ: المتأخِّرُ لِنَقْصَانِ أو قُصُورِ، وَمَنْ يَخْلُفُ الرَّجُلَ في مَالِهِ وَبَيْتِهِ⁽³⁾، والخالفُ أيضًا: الفاسِدُ مِنَ النَّاسِ⁽⁴⁾. والحوَالِفُ: النِّسَاءُ الْمُتَخَلِّفَاتُ في البُيُوتِ، والخالِفةُ: عَمُودُ الخِيْمَةِ المتأخِّرُ، ويكنى بها عَنِ الْمَرَأَةِ لِتَخَلُّفِهَا عَنِ الْمُرْتَحِلِينَ⁽⁵⁾. والمقصودُ بالخَالِفِينَ في الآية: جَمْعُ خَالِفٍ، وهو الَّذِي يَخْلُفُ الغَازِي في أَهْلِهِ، وكانوا يَتَرَكُونَ لِذَلِكَ⁽⁶⁾.

❁ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: إِنَّ أَرْجَعَكَ اللَّهُ وَرَدَّكَ - يَا مُحَمَّدٌ - مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ - الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْكَ فِي الْمَدِينَةِ بِغَيْرِ عُدْرٍ، وَفَرَحُوا بِذَلِكَ - فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ مَعَكَ لِلْجِهَادِ فِي غَزْوَةِ أُخْرَى؛ فَقُلْ لَهُمْ: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالتَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، حِينَ دُعِيتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِلْخُرُوجِ مَعِيَ إِلَى تَبُوكَ، فَاقْعَدُوا مَعَ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الْجِهَادِ⁽⁷⁾.

❁ الإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

دَلَالَةُ الْفَاءِ فِي ﴿فَإِنْ﴾ وَسِرُّ رُبطِ الْجُمْلَتَيْنِ بِهَا:

الفَاءُ لِلتَّفَرِيعِ عَلَى مَا آذَنَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة:

(1) الزَّاعِبُ، المفردات: (قعد).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (قعد).

(3) الزَّاعِبُ، المفردات: (خلف).

(4) ابن سيده، للحكم، وابن منظور، لسان العرب: (خلف).

(5) الزَّاعِبُ، المفردات: (خلف).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/284.

(7) ابن جرير، جامع البيان: 11/608، والواحدي، التفسير البسيط: 10/579، وابن كثير، تفسير القرآن

العظيم: 4/192.

لَنْ تُفْلِحَ مَكَائِدُ
الْمُنَافِقِينَ أَمَامَ
إِرَادَةِ اللَّهِ
الْقَاهِرَةِ

تَتَابِعُ مُعَاقِبَةَ
الْمُنَافِقِينَ بِسُوقِ
دَلَالَةِ التَّفَرِيعِ

[81]؛ إِذْ فُرِعَ عَلَى الْغَضَبِ عَلَيْهِمْ وَتَهْدِيدِهِمْ عِقَابٌ آخِرٌ لَهُمْ، بِإِبْعَادِهِمْ عَنْ مُشَارَكَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَوَاتِهِمْ⁽¹⁾.

إِثَارُ (إِنْ) عَلَى (إِذَا):

لَمَّا كَانَ فِي السَّفَرِ مِنَ الْخَطَرِ مَا كَانَ؛ فَإِنَّهُ يُحْتَاجُ لِلرُّجُوعِ مِنْهُ إِلَى تَأْيِيدِ إِلَهِيٍّ، وَلِذَا أُوتِرَتْ كَلِمَةُ (إِنْ) عَلَى (إِذَا)⁽²⁾؛ كَمَا أَنَّ (إِنْ) مَبِينَةٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَعْلَمُ بِمُسْتَقْبَلَاتِ أَمْرِهِ مِنْ أَجْلِ وَغَيْرِهِ، إِلَّا أَنْ يُعْلِمَهُ اللَّهُ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَمُوتَ أَوْلَتْكَ الْمُنَافِقُونَ قَبْلَ رُجُوعِهِ⁽³⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِ: ﴿رَجَعَكَ﴾:

أُوتِرَ التَّعْبِيرُ بِالرُّجُوعِ؛ لِأَنَّهُ أُنْسِبُ فِي التَّعْبِيرِ وَأَدْلُ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَرْجِعَهُ مِنْ غَيْرِ كَارِهَةٍ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَّا إِذَا كَرِهَتْ حَالَهُ⁽⁴⁾. وَفَعْلُ (رَجَعَ) يَكُونُ قَاصِرًا وَمُتَعَدِّيًا مُرَادِفًا لـ (أَرْجَعَ). وَهُوَ هُنَا مُتَعَدٍّ، أَي: أَرْجَعَكَ اللَّهُ⁽⁵⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْإِرْجَاعِ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مَوْجَزًا غَيْرَ مُفَصَّلٍ:

وَجُعِلَ الْإِرْجَاعُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمُخَلَّفِينَ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَازِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْإِرْجَاعُ إِلَى الْحَدِيثِ مَعَهُمْ فِي مِثْلِ الْقِصَّةِ الْمُتَحَدَّثِ عَنْهَا بِقَرِينَةٍ قَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَنْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾، وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانُ مُعَامَلَتِهِ مَعَ طَائِفَةٍ، اخْتَصِرَ الْكَلَامُ، فَقِيلَ: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْإِرْجَاعَ الْحَقِيقِيَّ كَمَا جَرَتْ عَلَيْهِ عِبَارَاتُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَجَعَلُوهُ الْإِرْجَاعَ مِنْ سَفَرِ تَبُوكَ مَعَ أَنَّ السُّورَةَ كُلَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ بَلِ الْمُرَادُ الْمَجَازِيُّ، أَي: تَكَرَّرَ الْخَوْضُ مَعَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى⁽⁶⁾.

الدَّلَالَةُ عَلَى
أَنَّ مَا اخْتَمَلَ
الْهَلَاكَ لَا تَتَحْتَمَلُ
مَالَئُهُ

صِغَةً (رَجَعَكَ)
أَبْلَغُ فِي الْبَيَانِ
وَأَظْهَرُ

دَلَالَةُ الْإِرْجَاعِ
عَلَى تَكَرُّرِ
الْخَوْضِ مَعَ
الْمُنَافِقِينَ مَرَّةً
أُخْرَى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/282.

(2) الطَّنطاوَي، التفسير الوسيط: 6/368.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/66.

(4) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 114.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

دلالة التعبير بالمفرد ﴿رَجَعَكَ﴾:

إفراد المخاطب
توطئة إلى
استئذان
المنافقين منه



قال تعالى: ﴿إِنْ رَجَعَكَ﴾، وهو خطابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ، لِقَصْدِ الحديثِ مَعَ المنافقين بِقَرِينَةٍ: ﴿فَاسْتَنْذُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾؛ فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ التَّعْبِيرُ بِالْمُفْرَدِ⁽¹⁾، أَي: لِأَنَّ حِوَارَ الْمُنَافِقِينَ وَمُرَاجَعَتَهُمْ وَاسْتِئْذَانَهُمْ لِلْقُعُودِ وَكُلَّ مُعَامَلَاتِهِمُ الرَّسْمِيَّةِ، لَمْ تَكُنْ إِلَّا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، لَا مَعَ الصَّحَابَةِ ﷺ.

دلالة التعبير بالفعل الثلاثي ﴿رَجَعَكَ﴾:

حمل الرجوع
على مقتضى ما
قضاؤه الله تعالى
بدلالة الفعل
الثلاثي التعدّي

فَعَلُ (رَجَعَ) يَكُونُ قَاصِرًا وَمُتَعَدِّيًا مُرَادِفًا لـ (أَرْجَعَ). وَهُوَ هُنَا مُتَعَدٍّ، أَي: أَرْجَعَكَ اللَّهُ⁽²⁾.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَجَعَكَ﴾: الْفَاعِلُ هُنَا هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ؛ أَمَّا (رَجَعْتَ): فَالْفَاعِلُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ. فَكَانَ التَّعْبِيرُ بِالْمُتَعَدِّي (رَجَعَكَ) مَقْصُودًا، فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا خِيَارَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. أَي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدَّرَ لَهُ الرُّجُوعَ بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُخَلْفِينَ (الْمُنَافِقِينَ): الَّذِينَ لَمْ يَتُوبُوا بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى نِفَاقِهِمْ⁽³⁾.

دلالة التصريح بِاسْمِ الْجَلَالَةِ:

إظهار اسم
الجلالة
للدلالة على أنَّ
زِمَامَ الْأَفْعَالِ
وَالْأَقْوَالِ بِيَدِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ

أَظْهَرَ اسْمَ الْجَلَالَةِ هُنَا، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ زِمَامَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ لَيْسَ بِيَدِهِ، وَكَأَنَّهُ ﷺ يُوضِّح: إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَسَبَّوْا الْأَحْدَاثَ إِلَى بَشَرِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ إِذَا ذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَذْهَبَهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ مِنْ مَكَانٍ فَهُوَ لَا يَعُودُ إِلَّا إِذَا أَرْجَعَهُ اللَّهُ مِنْهُ⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/282.

(3) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري الجامع: 10/158.

(4) السَّعْرَاوِيُّ، التفسير: 9/5387.

دلالة لفظ ﴿طَائِفَةٍ﴾:

أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بـ ﴿طَائِفَةٍ﴾ للدلالة على إِنْصَافِ الْقُرْآنِ فِي الْحُكْمِ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُخَلَّفِينَ، فَلَيْسُوا جَمِيعًا مُنَافِقِينَ، وَلَيْسُوا جَمِيعًا كَانُوا كَاذِبِينَ فِي اعْتِدَارِهِمْ، فَإِنَّ تَخَلَّفَ بَعْضُهُمْ إِنَّمَا كَانَ لِعُذْرٍ عَائِقٍ مَعَ الْإِسْلَامِ، أَوْ رَجْعِكَ إِلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمُتَخَلِّفِينَ بِأَنْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ بِالمَوْتِ، أَوْ بِالْغَيْبَةِ عَنِ الْبَلَدِ، أَوْ بِأَنْ لَمْ يَسْتَأْذِنِ الْبَعْضُ، وَعَنْ قِتَادَةِ: أَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، قِيلَ فِيهِمْ مَا قِيلَ⁽¹⁾.

إِنْصَافُ الْقُرْآنِ
فِي الْحُكْمِ عَلَى
الْمُخَلَّفِينَ

فائدة قيد الطائفة بـ: ﴿مِنْهُمْ﴾:

إِنَّ الْحَقَّ ﷺ قَيَّدَ الطَّائِفَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ لِأَنَّهُ يَصْدَدِ الْحَدِيثَ عَنِ الطَّائِفَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ مِنْهَا الْمُخَالَفَةُ، فَهَنَّاكَ مَنْ بَقُوا فِي الْمَدِينَةِ رَغْمًا عَنْهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ مَا يُنْفِقُونَهُ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَدَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، كَذَلِكَ الْمَرْضَى وَكِبَارُ السِّنِّ الَّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ قِتَالًا. وَهَؤُلَاءِ حَسُنَ إِسْلَامُهُمْ وَقَبِلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْدَارَهُمْ. وَلَكِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يَتَحَدَّثُ هُنَا عَنِ الطَّائِفَةِ الَّتِي تَخَلَّفَتْ عَنِ الْجِهَادِ وَهِيَ قَادِرَةٌ، وَالَّتِي أَمْتَنَتْ عَنِ الْخُرُوجِ، وَهِيَ تَمْلِكُ الْمَالَ وَالسَّلَاحَ وَكُلَّ مَقَوِّمَاتِ الْجِهَادِ، هَذِهِ الطَّائِفَةُ هِيَ الَّتِي فَرِحَتْ بِالتَّخَلُّفِ عَنِ الْقِتَالِ. أَمَّا الطَّوَائِفُ الْأُخْرَى؛ فَكَانَتْ عِيُونُهَا تَفِيضُ بِالدَّمْعِ مِنَ الْحَزَنِ عَلَى عَدَمِ اشْتِرَاكِهِمْ فِي الْجِهَادِ، إِذَنْ: فَالْحَقُّ يَقْصِدُ هُنَا طَائِفَةً الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ اسْتَمَرُّوا عَلَى نِفَاقِهِمْ، فَمَنْ تَابَ مِنْهُمْ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ. وَبَقِيَتْ طَائِفَةُ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ فَرَحُوا وَضَحِكُوا عِنْدَمَا بَقُوا فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ عِقَابُ اللَّهِ لَهُمْ بِأَنْ مَسَحَ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ دِيوَانِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنَعَهُمُ الثَّوَابَ الْكَبِيرَ لِلْجِهَادِ⁽²⁾.

دلالة ﴿مِنْهُمْ﴾
على طائفة
مخصوصة من
المتخلفين

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 9/5388.

دلالة تقييد الرجوع بـ ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ دون البلد أو الجهة:

جُعِلَ الإِرْجَاعُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمُخْلَفِينَ عَلَى وَجْهِ الإِيجَازِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الإِرْجَاعُ إِلَى الْحَدِيثِ مَعَهُمْ فِي مِثْلِ الْقِصَّةِ الْمُتَحَدِّثِ عَنْهَا بِقَرِينَةٍ قَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَعِذُّوْكَ لِلْخُرُوجِ﴾، وَلَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانُ مُعَامَلَتِهِ مَعَ طَائِفَةٍ، اخْتَصِرَ الْكَلَامُ، فَقِيلَ: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾⁽¹⁾.

دلالة الفاء الداخلة على الفعل:

الفاء في قوله: ﴿فَاسْتَعِذُّوْكَ﴾ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ، أَي: أَنَّهُ بِمَجَرَّدِ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِمْ يُفَاجِئُونَكَ بِالِاسْتِئْذَانِ كَعَادَتِهِمْ، وَقَدْ يُكَرَّرُونَ فِي هَذِهِ الْحَالِ مَعَاذِيرَهُمُ الْكَاذِبَةَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مِنْهُمْ هِيَ ذَاتُ الْمَعَاذِيرِ الْمُتَكَرِّرَةِ الْمُثْبَطَةِ⁽²⁾.

فائدة مجيء جملة ﴿فَاسْتَعِذُّوْكَ﴾ بعد جملة: ﴿رَجَعَكَ اللَّهُ﴾:

يَدُلُّ سِيَاقُ الْآيَةِ ﴿فَاسْتَعِذُّوْكَ﴾ عَلَى أَنَّ الْفَاءَ لِلتَّفْرِيعِ عَلَى مَا أَذَنَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: 81]؛ إِذْ قُرِعَ عَلَى الْغَضَبِ عَلَيْهِمْ وَتَهْدِيدِهِمْ عِقَابَ آخِرِ لَهُمْ، بِإِبْعَادِهِمْ عَنْ مُشَارَكَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَوَاتِهِمْ؛ إِخْرَاجًا لَهُمْ عَنْ دِيْوَانِ الْغَزَاةِ، وَإِبْعَادًا لِمَحَلِّهِمْ عَنْ مَحْفَلِ صُحْبَةِ الرَّسُولِ ﷺ⁽³⁾.

جواب الشرط ودلالته:

جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ﴾ إِهَانَةٌ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ⁽⁴⁾، وَعُقُوبَةٌ لَهُمْ وَإِظْهَارٌ لِدَنَاءَةِ مَنْزِلَتِهِمْ وَسُوءِ حَالِهِمْ⁽⁵⁾، وَإِخْرَاجٌ لَهُمْ عَنْ دِيْوَانِ الْغَزَاةِ وَإِبْعَادٌ لِمَحَلِّهِمْ عَنْ مَحْفَلِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ⁽⁶⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3396.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/282.

(4) الألوسي، روح المعاني: 5/341.

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 5/476.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89.

الْعُدُولُ إِلَى
الطَّائِفَةِ فِي
مَعْرِضِ الرَّجُوعِ
إِلَى الْحَدِيثِ مَعَ
أَفْرَادِهَا إِيجَازًا

مُسَاوَعَةٌ
لِلْمُتَخَلِّفِينَ إِلَى
مَعَاذِيرِهِمْ
الْكَاذِبَةِ

مُعَاوَدَةُ عِقَابِ
الْمُنَافِقِينَ
بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ
دِيْوَانِ الْغَزَاةِ

الْقَضْدُ إِلَى
إِهَانَةِ الْمُنَافِقِينَ
بِمَنْعِهِمْ مِنَ
الْخُرُوجِ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
عُقُوبَةٌ لَهُمْ

دلالة تعدية الفعل ﴿فَاسْتَعِذُّنَا﴾ باللام:

عَدَّى الفعل ﴿فَاسْتَعِذُّنَا﴾ باللام دون (في) للدلالة على أَنَّهُمْ طَلَبُوا الإِذْنَ للخروج بعد غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَلَيْسَ فِيهَا، فَاِلْمَعْنَى: فَاسْتَأْذَنُواكَ لِلْخُرُوجِ، يَعْْنِي: إِلَى غَزْوَةٍ بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ إِسْقَاطُهُمْ مِنْ دِيْوَانِ الْغَزَاةِ عَقُوبَةً لَهُمْ عَلَى تَخْلُفِهِمُ الَّذِي عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَيْهِ إِلَّا النِّفَاقُ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُخَلْفِينَ⁽¹⁾، فَاللَّامُ بِمَعْنَى الْعِلَّةِ، أَيْ: لِأَجْلِ الْخُرُوجِ.

إِسْقَاطُ الْمُنَافِقِينَ
مِنْ دِيْوَانِ الْغَزَاةِ
عَقُوبَةً لَهُمْ

دلالة صيغة الجمع ﴿فَاسْتَعِذُّنَا﴾:

دلالة الجمع بِصِيغَةِ ﴿فَاسْتَعِذُّنَا﴾ جَرِيًّا عَلَى مَعْهَدِ الْخِطَابِ اللَّغُويِّ فِي لَفْظَةِ الطَّائِفَةِ الدَّالَّةِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُخَلْفِينَ دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: ﴿فَاسْتَعِذُّنَا لِلْخُرُوجِ﴾، أَيْ: إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ يَبْتَغُونَ الْخُرُوجَ لِلْغَزْوِ⁽²⁾، وَالْحَمْلُ عَلَى مَعْنَى الْجَمْعِ فِي ﴿طَائِفَةٍ﴾ يُشِيرُ إِلَى حِرْصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ عَلَى الْاسْتِثْنَانِ، وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَيْهِ.

دلالة الطائفة
على جماعة من
المُخَلْفِينَ جَرِيًّا
على العهد
اللغوي

إيثار النفي بـ ﴿لَنْ﴾:

تُضِيدُ ﴿لَنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا﴾ نَفْيَ الْخُرُوجِ مُسْتَقْبَلًا، وَالْجَمْعُ بَيْنَ النَّفْيِ بِهَا وَبَيْنَ كَلِمَةِ ﴿أَبَدًا﴾ تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى ﴿لَنْ﴾؛ لِاتِّفَاءِ خُرُوجِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ⁽³⁾.

دلالة تكرار ﴿لَنْ﴾:

كُرِّرَتْ ﴿لَنْ﴾ زِيَادَةً فِي تَبْكِيتِهِمْ، وَفِي إِهْمَالِ شَأْنِهِمْ، وَفِي كَرَاهَةِ مُصَاحَبَتِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَوْ خَرَجُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا زَادُوهُمْ إِلَّا خَبَالًا، وَلَوْ قَاتَلُوا مَعَهُمْ لَكَانَ قِتَالُهُمْ خَالِيًّا مِنَ الْغَايَةِ السَّامِيَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا قَاتَلَ الْمُؤْمِنُونَ، وَهِيَ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ قِتَالٍ خَلَا مِنْ تِلْكَ الْغَايَةِ كَانَ مَالَهُ إِلَى الْهَزِيمَةِ⁽⁴⁾.

نَفْيُ خُرُوجِ
الْمُنَافِقِينَ إِلَى
الْغَزْوِ مَعَ
الْمُسْلِمِينَ
مُسْتَقْبَلًا

تَبْكِيتُ الْمُنَافِقِينَ
بِتَأْكِيدِ عَدَمِ
صُحْبَتِهِمْ

(1) الرَّمْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 2/297.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 10/283.

(3) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 10/283.

(4) طَنْطَاوِي، التَّفْسِيرُ لِلْحَبِطِ: 6/369.

إِثَارُ لَفْظِ الْخُرُوجِ عَلَى الذَّهَابِ:

الخروج يُراعى
فيه بداية
الانطلاق،
والذهاب يُراعى
فيه موضع
الانتهاء

الذهابُ: سَيْرٌ يَبْعُدُ بِالسَّائِرِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَمَحِيَ شَخْصُهُ،
وَالْخُرُوجُ: الْإِنْتِقَالُ مِنَ الْمَقَرِّ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ⁽¹⁾،
وَالْخُرُوجُ يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلٍ عَنِ الْإِتِّجَاهِ أَوْ الْحَالِ إِلَى عَكْسِهِ⁽²⁾، وَلَمَّا كَانَ
لَفْظُ (الْخُرُوجِ) يُلْحَظُ فِيهِ بِدَايَةُ الْإِنْطِلَاقِ، وَالذَّهَابُ يُرَاعَى فِيهِ
مَوْضِعُ الْإِنْتِهَاءِ، أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِالْخُرُوجِ لِلْمِبَالِغَةِ فِي نَفْيِ قِتَالِهِمْ بِنَفْيِ
خُرُوجِهِمْ، وَلِمُنَاسَبَتِهِ أَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ وَصِفَاتِهِمْ، وَلِأَنَّهُ شَاعَ إِطْلَاقُ
هَذَا الْمُصْطَلَحِ عَلَى السَّفَرِ لِلْعَزْوِ⁽³⁾.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَصْدَرِ الصَّرِيحِ ﴿لِلْخُرُوجِ﴾:

دلالة المصدر
الصريح على
تأكيد المعنى

الحَرْفُ الْمَصْدَرِيُّ أَضْعَفُ مِنْ صَرِيحِ الْمَصْدَرِ، وَقَدْ نَصَّ ابْنُ
مَالِكٍ، عَلَى أَنَّ الْحَرْفَ الْمَصْدَرِيَّ لَا يُؤَكِّدُ بِهِ فِعْلٌ⁽⁴⁾، فَأَوْثَرَ التَّعْبِيرُ
بِالْمَصْدَرِ الصَّرِيحِ (الْخُرُوجِ) لِلتَّأْكِيدِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى عِلَّةِ اسْتِثْنَائِهِمْ.

بَلَاغَةُ جِنَاسِ الْأَشْتِقَاقِ فِي ﴿لِلْخُرُوجِ﴾ وَ﴿لَنْ تَخْرُجُوا﴾:

تأنيق البيان
وتحميله عنصر
المفاجأة

تَتَجَلَّى بَلَاغَةُ جِنَاسِ الْأَشْتِقَاقِ فِي لَفْظَةِ ﴿لِلْخُرُوجِ﴾ وَ﴿لَنْ
تَخْرُجُوا﴾ فِي أَنَّ الْبَيَانَ الْقُرْآنِيَّ أَخْرَجَ الْفِعْلَ مِنْ مَصْدَرِهِ لِيَحْمِلَ
عُنْصَرَ الْمُفَاجَأَةِ مُوَهِّمًا السَّمْعَ بِالتَّكَرُّارِ، لِيُدْرِكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّفْظَ
يَحْمِلُ مَعْنَى غَيْرَ الْمَعْنَى الْمُنْتَوَعَةِ.

فَهُمْ طَلَبُوا الْخُرُوجَ فِي اللَّفْظَةِ الْأُولَى، وَلَكِنَّهُمْ مَنَعُوا مِنَ الْخُرُوجِ
فِي الثَّانِيَةِ عُقُوبَةً⁽⁵⁾.

فَائِدَةُ قَيْدِ الظَّرْفِيَّةِ ﴿مَعِيَ﴾، وَمَجِيئُهُ مَضَافًا إِلَى ضَمِيرِ الْمَفْرَدِ:

نفي شرف المعية
يؤذن بجزماني
المنافقين من
مزية ملازمة
الرسول ﷺ

التَّعْيِيدُ بِالْمَعِيَّةِ، كَمَا يُؤْذِنُ بِاسْتِثْنَائِهِمْ، يُخْرِجُ مَا كَانَ بَعْدَهُ ﷺ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/209: 1/481.

(2) جبل، العجم الاشتقاق للؤصل: (رجع).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/209.

(4) المرادي، الجني الذاني، ص: 407.

(5) عدد من المؤلفين، مقال بعنوان: نماذج من جناس الاشتقاق في القرآن الكريم، للجنة العالمية للفكر

الإسلامي، عام 2013م، العدد: 3، ص: 114.

مَعَ أَصْحَابِهِ ﷺ مِنْ سَفَرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ⁽¹⁾ وَالْمَقْصُودُ مِنْ خُرُوجِهِمْ وَقِتَالِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ ، فَهُوَ يُرْشِدُهُمْ وَيُدَبِّرُ شُؤْنَهُمْ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالْأَبَدِيَّةِ مَعَ لَفْظِ ﴿لَنْ﴾:

الْجَمْعُ بَيْنَ النَّفْيِ بـ ﴿لَنْ﴾ وَبَيْنَ كَلِمَةِ ﴿أَبَدًا﴾ تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى لَنْ؛ لِإِنْتِفَاءِ خُرُوجِهِمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ⁽²⁾، وَبَيَانُ لِعَدَمِ إِرَادَةِ مَعْنَى التَّأْيِيدِ بـ: ﴿لَنْ﴾ كَمَا هُوَ قَوْلُ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

وَالِاكْتِفَاءُ بِذِكْرِ ﴿أَبَدًا﴾ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى دُونَ إِعَادَتِهَا فِي الثَّانِيَةِ، لِكُونِهَا مَحْمُولَةً عَلَيْهَا، فَمَعْنَاهَا سَارٍ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ، خُصُوصًا مَعَ قَرِينَةِ تَكَرُّارِ ﴿وَلَنْ﴾.

دَلَالَةُ تَقْدِيمِ شِبْهِ الْجُمْلَةِ ﴿مَعِيَ﴾ فِي الْمَوْضِعَيْنِ:

التَّقْيِيدُ بِالْمَعْيَةِ يُؤْذِنُ بِاسْتِثْقَالِ الْمُنَافِقِينَ، وَبِحِرْمَانِهِمْ مِنَ التَّشَرُّفِ بِمُصَاحَبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ ﴿مَعِيَ﴾ يُخْرِجُ مَا كَانَ بَعْدَهُ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ ﷺ مِنْ سَفَرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ⁽³⁾. وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ عَدَمَ الْخُرُوجِ فِي صُحْبَتِهِ ﷺ وَمَعْيَتِهِ هُوَ عَقُوبَةٌ كَامِلَةٌ، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَمَّا يَتَّبِعُهَا أَوْ يَلَابِسُهَا مِنْ حِرْمَانٍ مِنَ الْغَنَائِمِ، وَوَضْعِهِ فِي مَوْضِعِ التُّهْمَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

دَلَالَةُ عَطْفِ جُمْلَةِ ﴿وَلَنْ تُقْتَلُوا﴾:

عُطِفَتْ جُمْلَةُ ﴿وَلَنْ تُقْتَلُوا﴾ عَلَى مَا قَبْلَهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْقِتَالَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخُرُوجِ، فَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا كَفَى إِسْقَاطًا لَهُمْ عَنْ مَقَامِ الصُّحْبَةِ، وَمَقَامِ الْجِهَادِ، أَوْ عَنْ دِيْوَانِ الْغَزَاةِ، وَدِيْوَانِ الْمَجَاهِدِينَ، وَإِظْهَارًا لِكِرَاهَةِ صُحْبَتِهِمْ، وَعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى عَدِّهِمْ

حَسَدُ مَا يَدُلُّ
عَلَى نَفْيِ الْمَعْيَةِ
لِتَأْكِيدِ الْجَرْمَانِ
الْأَبَدِيِّ

اسْتِثْقَالُ
الْمُنَافِقِينَ
بِحِرْمَانِهِمْ مِنَ
الْمَعْيَةِ الشَّرِيفَةِ
قَبْلَ إِخْرَاجِ مَا
كَانَ بَعْدَهُ ﷺ

التَّسْوُوفُ إِلَى
إِظْهَارِ عَدَمِ
الْحَاجَةِ إِلَى
الْمُنَافِقِينَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/564.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 8/564.

مِنَ الْجُنْدِ. أَوْ ذَكَرَ الثَّانِيَةَ لِلتَّأْكِيدِ، لِأَنَّهُ أَصْرَحَ فِي الْمَرَادِ (١) وَعَلَى هَذَا فَقَدْ جُمِعَ بَيْنَ الْجَمْلَتَيْنِ زِيَادَةً فِي تَبْكِيتِهِمْ، وَفِي إِهْمَالِ شَأْنِهِمْ، وَفِي كَرَاهَةِ مُصَاحَبَتِهِمْ... فَلَوْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا زَادُوهُمْ إِلَّا خَبَالًا، وَلَوْ قَاتَلُوا مَعَهُمْ، لَكَانَ قِتَالُهُمْ خَالِيًا مِنَ الْغَايَةِ السَّامِيَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا قَاتَلَ الْمُؤْمِنُونَ وَهِيَ إِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ قِتَالٍ خَلَا مِنْ تِلْكَ الْغَايَةِ كَانَ مَأْلَهُ إِلَى الْهَزِيمَةِ (٢).

دَلَالَةُ صِيغَةِ الْمَفَاعَلَةِ:

قَوْلُهُ: ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا﴾ مِنَ الْمَقَاتَلَةِ، لَفْظٌ مِنْ أَلْفَاظِ الْمَفَاعَلَةِ، وَهُوَ بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ اللَّغَوِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى مُشَارَكَةِ طَرَفَيْنِ، فَهَنَّاكَ مَنْ يُقَاتِلُ ظُلْمًا وَعُدُوًّا وَهَنَّاكَ مَنْ يُقَاوِمُ هَذَا الظُّلْمَ.

سِرُّ تَنْكِيرِ لَفْظِ ﴿عَدُوًّا﴾ وَإِفْرَادِهِ:

التَّنْكِيرُ فِي لَفْظِ ﴿عَدُوًّا﴾ يُفِيدُ التَّهْوِيلَ وَالتَّعْظِيمَ لِأَخْذِ الْحَذَرِ مِنْهُ، أَمَّا إِفْرَادُهُ فَرَاجِعٌ إِلَى كَوْنِهِ عَلَى وَزْنِ (فَعُولٍ) مِثْلُ قَبُولٍ وَنَحْوِهِ مِنْ مَصَادِرٍ قَلِيلَةٍ، وَلَكُونِهِ عَلَى زِنَةِ الْمَصَادِرِ عَوْمِلٍ مُعَامَلَةً الْمَصْدَرِ فَاسْتَوَى فِي الْوَصْفِ بِهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُنْثَى وَالوَاحِدُ وَالْمُتَنَّى وَالْجَمْعُ (٣).

خُرُوجُ الْإِخْبَارِ مَخْرَجَ النَّهْيِ:

خُرُوجُ الْإِخْبَارِ مَخْرَجَ النَّهْيِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا﴾ لِلْمُبَالَغَةِ (٤) وَلِيَكُونَ صِدْقُ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِخْبَارِهِ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ وَبُرْهَانًا مِنْ بَرَاهِينِ الرِّسَالَةِ (٥).

وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ مَعْنَاهُ: قُلْ لَهُمْ بِصُورَةِ الْإِخْبَارِ هَذَا الْقَوْلُ؛ غَيْرَ أَنَّهُ فِي وَاقِعِهِ

إِشَارٌ صِيغَةِ
الْمَفَاعَلَةِ لِلدَّلَالَةِ
عَلَى نَفْيِ شَرْفِ
الْمُشَارَكَةِ فِي
الْقِتَالِ

دَلَالَةُ تَنْكِيرِ
الْعَدُوِّ لِقَصْدِ
التَّهْوِيلِ مِنْ كُلِّ
أَنْوَاعِهِ التَّصَوُّرِيَّةِ

صِدْقُ الرِّسَالَةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ

(١) القاسمي، محاسن التأويل: 5/470.

(٢) طنطاوي، التفسير الوسيط: 6/369.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/133.

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89.

(٥) البقاعي، نظم الدرر: 8/564.

مُتَضَمِّنُ النَّهْيِ كَأَبْلَغِ مَا يَكُونُ، عَلَى مَا هُوَ مُقَرَّرٌ مِنْ كَوْنِ الْخَبَرِ الَّذِي يَأْتِي فِي مَعْنَى الْإِنْشَاءِ أَبْلَغَ مِنَ الْإِنْشَاءِ الْمُحْضِ، كَمَا مَرَّ ذِكْرُهُ قَرِيبًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾.

وَيَدُلُّ لِكَوْنِهِ خَبَرًا فِي مَعْنَى النَّهْيِ وَرُودُ الْقَرِينَةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاسْتَعِذُّوكَ لِلْخُرُوجِ﴾؛ فَإِنَّهُ لَا يُلَايِمُ الْإِخْبَارَ بِأَنَّكُمْ لَمْ تَخْرُجُوا، مَعَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْخُرُوجَ، وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا التَّعْلِيلُ الْآتِي⁽¹⁾، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفِينَ﴾.

سِرُّ فَصْلِ جُمْلَةٍ: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ﴾:

فُصِّلَتْ جُمْلَةٌ ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ﴾ عَمَّا قَبَلَهَا لِبَيَانِ سَبَبِ النَّهْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ؛ لِمَا بَيَّنَّهَا وَبَيَّنَ سَابِقَتِهَا مِنْ (كَمَالِ الْإِتِّصَالِ)، أَيْ: لَنْ يَخْرُجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَنْ يُقَاتِلُوا مَعَهُ لِأَنَّهُمْ رَضُوا بِالْقُعُودِ وَالتَّخَلُّفِ أَوَّلَ مَرَّةٍ⁽²⁾.

فَائِدَةُ الْجُمْلَةِ التَّعْلِيلِيَّةِ: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ﴾، وَدَلَالَةُ التَّأْكِيدِ:

جُمْلَةٌ: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ تَعْلِيلٌ لِمَا سَبَقَ مِنَ النَّهْيِ، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْإِخْبَارَ بِأَنْ مَنَعَكُمْ وَنَهَيْكُمْ عَنِ الْخُرُوجِ وَالْقِتَالِ حَسَنٌ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ لَكُمْ رَضِيتُمْ، وَلِهَذَا صُدِّرَ بِكَلِمَةِ (إِنَّ) وَاخْتِيرَتِ الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ⁽³⁾، وَهِيَ مُسْتَأْنَفَةٌ لِلتَّعْدَادِ عَلَيْهِمُ وَالتَّوْبِيخِ، أَيْ: إِنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْقُعُودَ وَتَرْضَوْنَ بِهِ فَقَدْ زِدْتُمْ مِنْهُ⁽⁴⁾.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالرِّضَا عَنِ الْقُعُودِ:

التَّعْبِيرُ بِالرِّضَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْقُعُودِ عَمَلٌ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَأْبَاهُ النَّاسُ، حَتَّى أُطْلِقَ عَلَى

تَعْلِيلُ عَدَمِ
الْخُرُوجِ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

تَأْكِيدُ الْخَطَابِ
عَلَى قَصْدِ
الِاسْتِزَادَةِ
مِنَ الْقُعُودِ
وَالْتَّخَلُّفِ تَوْبِيحًا
لِلْمَنَافِقِينَ

الرِّضَا بِالْقُعُودِ
تَأْنِيقُ الْفِطْرَةِ
السَّالِمَةِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 9/300.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 2/442.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 9/300.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

ارْتَكَبَهُ فَعَلْ (رَضِيَ) الْمُشْعِرُ بِالمَحَاوَلَةِ والمُرَاوَضَةِ، أَي: أَنَّهُمْ جَعَلُوا كَالَّذِي يُحَاوِلُ نَفْسَهُ عَلَى عَمَلٍ وَتَأْبَى حَتَّى يُرْضِيَهَا⁽¹⁾.

التَّفْرِيقُ فِي خِطَابِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ:

شَتَانُ بَيْنَ خِطَابِ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِ وَخِطَابِهِ لِلْمُنَافِقِ: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ [التوبة: 38] ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: 83] ، ففي قوله تعالى: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ عتابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ لَتَحْرِيزِهِمْ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، بِطَرِيقَةِ العِتَابِ عَلَى التَّبَاطُؤِ بِإِجَابَةِ دَعْوَةِ النَّفِيرِ إِلَى الجِهَادِ⁽²⁾. أَمَّا فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: 83] ففيه توبيخٌ لِلْمُنَافِقِينَ بِتَفْرِيعٍ شَدِيدٍ.

الْجِنَاسُ بَيْنَ «بِالْقُعُودِ» وَ«فَاقْعُدُوا»:

بَيْنَ «بِالْقُعُودِ» وَ«فَاقْعُدُوا»: جِنَاسٌ مُسْتَوْفٍ؛ لِوُرُودِ أَحَدِ لَفْظِيهِ اسْمًا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ» وَالْآخَرِ فِعْلًا «فَاقْعُدُوا» بِفَاءِ تَفْرِيعِ الْأَمْرِ بِالْقُعُودِ بِطَرِيقِ الْعُقُوبَةِ عَلَى مَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنَ الرِّضَا بِالْقُعُودِ، أَي: إِذْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مِنْ بَعْدٍ⁽³⁾.

دَلَالَةُ الْفَاءِ فِي: «فَاقْعُدُوا»:

الفاءُ فِي «فَاقْعُدُوا» تَفْرِيعٌ عَلَى قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ﴾، أَي: كَمَا احْتَرَرْتُمْ الْقُعُودَ لِأَنْفُسِكُمْ فَاقْعُدُوا الْآنَ لِأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ التَّخَلُّفَ⁽⁴⁾.

دَلَالَةُ انْحِصَارِ وَرُودِ الْفِعْلِ «فَاقْعُدُوا» فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ وَحْدَهَا:

ورد لفظ (اقعدوا) في سورة التوبة ثلاث مرات وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: 5]، وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْفَاعِلِينَ﴾ [التوبة: 46]، وقوله ﷺ: ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾ [التوبة: 83].

عتاب المؤمنين
يُظَاهِرُ تَوْبِيخَ
الْمُنَافِقِ تَوْقِيعًا
وإيقاعًا

تَفْرِيعُ الْأَمْرِ
بِالْقُعُودِ عَلَى
مُسَمًى الْقُعُودِ
عُقُوبَةً

العُقُوبَاتُ عَلَى
مُقْتَضَى أَجْنَاسِ
الْأَعْمَالِ

تَكثِيرُ صِيغَةِ
الْقُعُودِ أَمْرًا فِي
سُورَةِ التَّوْبَةِ
لِإِرَادَةِ جَزَائِهِمْ
عَلَى الدَّوَامِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/195.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/284.

والورود الحصري لهذا الفعل **﴿فَأَقْعُدُوا﴾** في سورة التوبة للدلالة على أن هذه العقوبة خاصةً بهؤلاء المخلفين، الذين ديدَنَهُمُ القُعودُ والتَّخلفُ دائِمًا، ⁽¹⁾ فدلت صيغة الأمر على العقوبة على ما صدر عنهم من الرضا بالقعود، أي: إذ رَضِيتُمْ بالقُعودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فاقْعُدُوا مِنْ بَعْدُ ⁽²⁾.

فائدة قوله: **﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾**:

في قوله تعالى: **﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** دلالة على الخرجة إلى غزوة تبوك؛ كأنه قيل: أَوَّلَ خَرْجَةٍ دُعِيتُمْ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ أَوَّلَ خَرْجَةٍ خَرَجَهَا الرَّسُولُ ﷺ لِلْغَزَاةِ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْيِيدِهَا؛ إِذِ الْأَوَّلِيَّةُ تَقْتَضِي السَّبْقَ. وقيل: التَّقْدِيرُ: أَوَّلَ خَرْجَةٍ خَرَجَهَا الرَّسُولُ ﷺ لِغَزْوَةِ الرُّومِ بِنَفْسِهِ. وقيل: **﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** قَبْلَ الْإِسْتِثْنَانِ ⁽³⁾.

فائدة تنكير **﴿مَرَّةٍ﴾**:

جاءت **﴿مَرَّةٍ﴾** نكرة للاستغراق، لأنها لما كانت في زمن معروف لهم وهو زمن الخروج إلى تبوك ضُمَّتْ مَعْنَى الزَّمانِ ⁽⁴⁾.

دلالة حذف فعل الشرط في: **﴿فَأَقْعُدُوا﴾**:

دلالة حذف فعل الشرط في **﴿فَأَقْعُدُوا﴾** لبيان التَّخلفِ الدائم؛ على معنى: إِذَا رَضِيتُمْ بِالْقُعودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فاقْعُدُوا مِنْ بَعْدُ **﴿مَعَ الْخُلَفَاءِ﴾** أي: الْمُتَخَلِّفِينَ، الَّذِينَ دِيدَنَهُمُ الْقُعودُ وَالتَّخَلُّفُ دَائِمًا ⁽⁵⁾.

سِرُّ التعبيرِ بلفظِ القُعودِ دونَ التَّخَلُّفِ:

عَبَّرَ بِلَفْظِ الْقُعودِ هَاهُنَا؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْقُعودِ فِيهِ مَعْنَى التَّنَاقُلِ، وَقَدْ يُفْسَرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُعَاتَبَةِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ: **﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ﴾** **﴿أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾** [التوبة: 38].

تَشَوُّفُ الْخِطَابِ
إِلَى تَشْدِيدِ
التَّكْبِيرِ عَلَى مَنْ
أَعْرَضَ عَنْ أَمْرِ
اللَّهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ

تَرْكُ الْأَمْرِ أَوَّلَ
مَرَّةٍ كَتَرَكَهُ كُلُّ
مَرَّةٍ

حَذْفُ فِعْلِ
الشَّرْطِ فِي
﴿فَاقْعُدُوا﴾ قَصْدٌ
إِلَى بَيَانِ التَّخَلُّفِ
الدَّائِمِ

إِبْشَارُ الْقُعودِ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى
دَاعِيَةِ الْكَسَلِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 5/476.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/283.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/89.

فهذا التَّعبيرُ وارِدٌ في نَفْسِ السِّيَاقِ، وفي نَفْسِ الْأَشْخَاصِ الْمُخْلَفِينَ
بِغَيْرِ عُدْرٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ⁽¹⁾ فَهُمْ الْمُعْتَبُونَ بِهِ، فَيَكُونُ (التَّائِقُلُ)
تَقْسِيرًا دَقِيقًا لِلْقَعُودِ الْمَذْكُورِ.

وهو شَأْنٌ قَدْ تَمَيَّزَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ حَتَّى عِنْدَ أَدَاءِ الصَّلَاةِ تَظَاهَرًا
مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ كَانُوا يَقُومُونَ إِلَيْهَا مُتَتَابِلِينَ كُسَالَى، كَمَا أَخْبَرَ
بِذَلِكَ عَنْهُمْ سُبْحَانَهُ حِينَ قَالَ: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى
يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ [النساء: 142].

وَمِنْ أَسْرَارِ التَّعْبِيرِ بِالْقَعُودِ كَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي حَدَا بِالْمُنَافِقِينَ إِلَى
تَرْكِ الْجِهَادِ لَيْسَ ضَعْفُهُمْ وَلَا قِلَّةُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، بَلْ دَعَاهُمْ دَاعِي
الْكَسَلِ؛ فَزَكَّنَا إِلَيْهِ فَلَمْ يُكَلِّفُوا أَنْفُسَهُمُ التَّظَاهَرَ بِالِاسْتِعْدَادِ، لِيُسَفَّعَ
لَهُمْ بِقَبُولِ أَعْذَارِهِمْ، وَهَذَا مِنْ خِذْلَانِ اللَّهِ لَهُمْ، وَلَمَّا كَانَتْ عِلَّةُ التَّخَلُّفِ
التَّكَاسُلَ دُونَ سِوَاهُ، ثَبَطَهُمْ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ذَمًّا
لَهُمْ وَتَعْجِيزًا وَالْحَاقُّ لَهُمْ بِمَنْ شَأْنُهُمُ الْقَعُودُ مِنَ الْمَرَضَى وَالضُّعْفَاءِ⁽²⁾.

الْعُدُولُ عَنِ الْقَاعِدِينَ إِلَى الْخَلِيفِينَ:

عُبِّرَ بِلَفْظِ ﴿الْخَلِيفِينَ﴾ هَا هُنَا لِأَنَّ تَخَلُّفَ الْمُنَافِقِينَ هَذِهِ الْمَرَّةَ عَنْ
مَنْعِ وَالْزَّامِ، تَكْيِيلًا بِهِمْ وَإِظْهَارًا لِدِنَاءَةِ نَفُوسِهِمْ، أَيْ: أَنَّهُمْ أُلْزِمُوا
بِالْبَقَاءِ مَعَ أَهْلِ الْأَعْذَارِ مَعَ رَغْبَتِهِمْ فِي الْخُرُوجِ، فَلَمَّا لَمْ تَوْجَدْ بَوَاعِثُ
الْكَسَلِ عُبِّرَ بِالْخَالِفِينَ⁽³⁾.

❁ الفُرُقُ الْمُجْمَعِيَّةُ:

الرَّجُوعُ وَالْعَوْدَةُ وَالرَّدُّ:

(الرَّدُّ): إِجْبَارُ الْآخِرِ عَلَى الْعَوْدَةِ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَحْسُوبًا وَلَا فِي
الْخَطَةِ، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ عَلَيْهِ لِأَمْرِ مَا وَلَمْ يَكُنْ فِي الْحَسْبَانِ.

(1) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 4/65.

(2) رِيْمُ الْقَحِيحِ، بَلَاغَةُ التَّشَابُهِ اللَّفْظِيِّ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ، ص: 123.

(3) رِيْمُ الْقَحِيحِ، بَلَاغَةُ التَّشَابُهِ اللَّفْظِيِّ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ، ص: 123.

الْعُدُولُ إِلَى
الْخَالِفِينَ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى
إِلْزَامِهِمْ تَنْكِيدًا
لَهُمْ

إِشَارَةُ الرَّجْعَةِ
لِقَصْدِ تَعْمِيمِ
الْعَوْدِ

أَمَّا (الرَّجُوعُ) فَهُوَ الْعَوْدَةُ مِنْ مَهْمَةٍ مَا، وَيَكُونُ فِيمَا فِيهِ قَصْدٌ فِي الْعَوْدَةِ وَمَا لَيْسَ فِيهِ⁽¹⁾، وَلِذَا يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الْبَعْثِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، أَي: أَنَّا جَمِيعًا سَنَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ قَمْنَا بِمَا هُوَ مَطْلُوبٌ مِنَّا وَهُوَ امْتِحَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَنَا أَيُّنَا أَحْسَنُ عَمَلًا.

أَمَّا (الْعَوْدَةُ) فَهِيَ الْعَوْدَةُ إِلَى حَالَةٍ مَا سَابِقَةٍ كَانَتْ قَبْلَ هَذِهِ الْحَالِ، كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29]، أَي: أَنَّا سَنَعُودُ إِلَى الْحَالَةِ الَّتِي كُنَّا عَلَيْهَا سَابِقًا وَهِيَ التُّرَابُ.

(الطَّائِفَةُ) وَ(الْجَمَاعَةُ):

إِنَّ (الطَّائِفَةَ) فِي الْأَصْلِ: هِيَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا الطَّوْفُ فِي الْبِلَادِ لِلسَّفَرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَصْلُهَا الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَسْتَوِي بِهَا حَلَقَةٌ يُطَافُ عَلَيْهَا، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سُمِّيَ كُلُّ جَمَاعَةٍ طَائِفَةً⁽²⁾، وَتُطَلَّقُ الطَّائِفَةُ عَلَى الْوَاحِدِ فَصَاعِدًا، إِلَى الْأَلْفِ، وَأَقْلَاهَا رَجُلَانِ أَوْ رَجُلٌ، فَتَكُونُ بِمَعْنَى النَّفْسِ. وَالطَّائِفَةُ إِذَا أُريدَ بِهَا الْجَمْعُ فَجَمْعُ طَائِفٍ، وَإِذَا أُريدَ بِهَا الْوَاحِدُ فَيَصْحُحُ أَنْ تَكُونَ جَمْعًا، وَكُنِيَ بِهِ عَنِ الْوَاحِدِ⁽³⁾.

و(الْجَمَاعَةُ) فِي اللُّغَةِ: الْمُجْتَمِعُونَ عَلَى الشَّيْءِ، وَجَمْعُ الشَّيْءِ عَنْ تَفَرُّقِهِ، وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ لِإِفَادَةِ مَعْنَى الْاجْتِمَاعِ فِي مُقَابِلِ الْاِفْتِرَاقِ، وَقَدْ جَاءَ فِي نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ اسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ الْجَمَاعَةِ ضِدَّ الْفُرْقَةِ وَالْاجْتِمَاعِ ضِدَّ الْاِفْتِرَاقِ.

يُنَازُ الطَّائِفَةُ
لِلدَّلَالَةِ عَلَى
الْوَاحِدِ أَوْ
الْجَمَاعَةِ

(1) العسكري، الفروق، ص: 303.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 334.

(3) الكفوي، الكلِّيات، ص: 585.

والجَمَاعَةُ أَعْمٌ مِنَ الطَّائِفَةِ؛ لَأَنَّهَا تُطْلَقُ بِمَلَحَظِ الْاجْتِمَاعِ فَقَطْ دُونَ وَصْفٍ زَائِدٍ عَلَى هَذَا. والطَّائِفَةُ أَخْصُّ، فَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْأَثْنَيْنِ.

الخُرُوجُ وَالذَّهَابُ:

(الخُرُوجُ) انْتِقَالٌ مِنَ الْمَقَرِّ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ⁽¹⁾، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلٍ عَنِ الْاِتِّجَاهِ أَوْ الْحَالِ إِلَى عَكْسِهِ⁽²⁾، وَ(الذَّهَابُ) سَيْرٌ يَبْعُدُ بِالسَّائِرِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَمْحِيَ شَخْصُهُ. مَأْخُوذٌ مِنْ ذَهَابِ الشَّيْءِ بِمَعْنَى: مُضِيِّهِ. يُقَالُ: ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهَابًا وَذُهِوبًا⁽³⁾.

وَيُقَالُ: ذَهَبَ بِهِ: اسْتَصْحَبَهُ وَمَضَى مَعَهُ، وَذَهَبَ عَلَيْهِ: نَسِيَهُ. وَعَنْهُ: تَرَكَه، وَإِلَيْهِ: تَوَجَّهَ. وَأَذْهَبَهُ: أزالَهُ وَجَعَلَهُ ذَاهِبًا⁽⁴⁾.
وعلى هذا فالذَّهَابُ أَوْسَعُ مَعْنَى وَدَلَالَةٌ.

الرِّضَا وَالْإِثَارُ:

مَعْنَى (الرِّضَا) سُكُونُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ وَالْارْتِيَا حُ إِلَيْهِ⁽⁵⁾، وَ(الْإِثَارُ) عَلَى مَا قِيلَ هُوَ: الْاِخْتِيَارُ الْمَقْدَّمُ، وَالشَّاهِدُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَازَتْكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، أَيُّ: قَدَّمَ اخْتِيَارَكَ عَلَيْنَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ كَانُوا مُخْتَارِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى⁽⁶⁾.

وَاخْتِيرَ فِعْلٌ ﴿رَضِيتُمْ﴾ دُونَ نَحْوِ: (آثَرْتُمْ) أَوْ (فَضَلْتُمْ) مُبَالَغَةٌ فِي الْإِنْكَارِ، لِأَنَّ فِعْلَ (رَضِيَ بِكَذَا) يَدُلُّ عَلَى انْشِرَاحِ النَّفْسِ⁽⁷⁾.

وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّ (الْإِثَارَ) يَحْمِلُ مَعْنَى الْاِخْتِيَارِ وَالتَّقْدِيمِ، وَ(الرِّضَا) قَدْ لَا يَكُونُ عَنِ اخْتِيَارٍ، وَلَكِنْ يَصْحَبُهُ قَبُولُ وَارْتِيَا حُ كَمَنْ يَرْضَى - إِيْمَانًا - بِالْبَلَايَا لِكُونِهَا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/209: 1/481.

(2) جبل، العجم الاشتقاقى للؤمّل: (رجع).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذهب).

(4) الكفوي، الكلّيات، ص: 463.

(5) الحموي، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ص: 143.

(6) العسكري، الفروق اللغوية، بترتيب وزيادة، ص: 87.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/198.

الذَّهَابُ أَوْسَعُ
مَعْنَى وَدَلَالَةٌ
مِنَ الْخُرُوجِ

الإِثَارُ يَحْمِلُ
مَعْنَى الْاِخْتِيَارِ
وَالْتَّقْدِيمِ،
وَالرِّضَا قَدْ
يَكُونُ عَنْ غَيْرِ
اخْتِيَارٍ

(القاعد) و(الخالف):

(الخالف) أعم من (القاعد)، فالخالف: الذي يخلف الرجل في أهله وماله، ويقال: الخالف الذي خالف قومه، ويقال: الخالف الفاسد، ويقال: الخالف المرأة، والخوالف: النساء⁽¹⁾، والقعود مجاز عن الثبات في المكان، والملازمة له، لأن القعود ثبوت شديد وطويل⁽²⁾، والمراد: تخلفهم عن الغزو واقتران ذلك بالكسل، والالتصاق بالأرض، والتمكن من القعود، فيأبى النهوض فضلاً عن السير. وبذلك يظهر: أن معنى (الخالف) أوسع وأعم من معنى (القاعد).

(الخالف) أوسع
معنى وأعم من
(القاعد)

الرضا والقبول:

(الرضا): هو قبول الشيء عن يقين وخلو من التردد أو الشك، وغالباً ما يرافقه السرور، و(القبول): مقدم الشيء الذي يتجه إليه منه؛ لملاقاته أو النفاذ فيه⁽³⁾، سواء أكان سروراً أم بغيره.

القبول أعم من
الرضا

القعود والجلوس:

قد فرق بينهما بأن الجلوس: هو الانتقال من سفلى إلى علو، والقعود: هو الانتقال من علو إلى سفلى؛ فعلى الأول يقال لمن هونائمه: اجلس، وعلى الثاني يقال لمن هوقائمه: اقعد⁽⁴⁾.

يثائر القعود
للدلالة على
اتجاه الحركة

(1) السمرقندي، بحر العلوم: 2/79.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/115.

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قبل).

(4) العسكري، الفروق اللغوية، بترتيب وزيادة، ص: 164.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 17، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-14-2

يشتمل على ارجاعات ببلوغرافية.

مج. 17: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 978-9948-768-14-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»